منافرة وانى يصح الوزن بميزان مال لاحد الجانبين فيه ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة
العصبية واين يقع الحق من خاطر اخذته العزة بالحمية وانما يحكم بالعدل اعتدال تعادل
الطرفين ويظهر الجور عند تقابل المنحرفين هذا ولما خرج ما اخرجته من كتاب الامام في
معرفة احاديث الاحكام وكان وضعه مقتضيا للاتساع ومقصوده موجبا لامتداد
الباع عدل قوم عن استحسان اطالته الى استخشان اطالته ونظروا الى المعنى الحامل
عليه فلم يقضوا اعنا سببه ولا اخالته فاخذت في الاعراض عنهم بالراي الاحزم وقلت عند سماع
قولهم شنشنة اعرفها من اخزم ولم يكن ذلك مانعا لي من وصل ماضيه بالمستقبل ولا
موجبا لان اقطع ما امر الله به ان يوصل انما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم والارض لا تخلو
من قائم لله بالحجة والامة الشريفة لابد فيها من سالك الى الحق على واضح المحجة الى ان ياتي
امر الله في اشراط الساعة الكبرى ويتتابع بعده ما لا يبقى بعده الا قدوم الاخرى وقال الذي منهم
من اصحابنا في اول كتاب الارشاد لا ينتفع الا من رفع الله عن قلبه حجاب التقليد فانه سبب
لحرمان كل خير وسابق لكل غواية بل اكثر ما وقع الخلق في الكفر والنفاق منه كما اخبر الله
تعالى عنهم انهم قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ولما قالت لهم
رسلهم اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون وذلك
انما هو من الجهل المستبطن على قلوبهم وربط التقليد على افهامهم حتى لا يتدبروا ما يقال لهم
ويستخفوا بمن يرشدهم لظنهم الفاسد انه لا يمكن ان يكون المتاخر افضل من المتقدم و
يعتقدون ان ذلك عندهم من قبيل المستحيل ولم يعلموا ان مواهب الله تعالى لا تنقطع
وفيض جوده لا ينفد وانما حرم ذلك من حرمه اما لفساد طبعه وخلل في عقله او لعدم
تدبره وتفهمه لما بينه الله تعالى من الايات الواضحة والدلائل الراجحة والا من له طبع سليم
وفهم مستقيم اذا رفع عن قلبه حجاب التقليد وتدرع جلباب الاجتهاد والتجريد
وتعرض لنفحات ربه افاض بجوده عليه التاييد والتسديد كما قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقال ابن قيم الجوزية في كتابه في ذم التقليد
وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من محدثات الامور واخبر ان كل محدثة بدعة وكل بدعة
وكل بدعة ضلالة ومن المعلوم بالاضطرار ان ما هؤلاء عليه من التقليد الذي لم يوذن
له كتاب الله في سنة رسوله ويعرض القران والسنة عليه ويجعل معيارا عليهما من اعظم

المحدثات

٢٠٤

المحدثات والبدع التي برأ الله سبحانه منها القرون التي فضلها وخيرها على غيرها
قال ومن اظهر الحجج على بطلان التقليد ما كتبه عمر الى شريح ان اقض بما في كتاب الله فان لم
يكن بما في كتاب الله فبما في سنة رسول الله فان لم يكن في سنة رسول الله فبما قضى به
الصالحون وهكذا كان سير السلف المستقيم وهديهم القويم فلما انتهت النوبة
الى المتاخرين ساروا عكس هذا السير قالوا وقد صح عن ابن مسعود النهي عن التقليد
ولا يكون الرجل امعة وقال الشيخ بهاء الدين السبكي في اوائل شرحه على مختصر ابن الحاجب
اشرف العلوم الشرعية بعد الاعتقاد الصحيح وانفعها معرفة الاحكام العملية
ومعرفة ذلك بالتقليد ونقل الفروع المجردة يستفرغ جمام الذهن ولا ينشرح الصدر
للاقتصار عليه لعدم اخذه بالدليل وشتان بين من ياتي بالعبادة لفتوى امامه
له انها واجبة او سنة وبين من ياتي بها وقد ثلج صدره عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بان
ذلك كذلك وهذا لا يصلح الا بالاجتهاد والناس في حضيض عن ذلك الا من تغلغل باصول
الفقه وكرع من مناهله الصافية وقال الشيخ عز الدين ابن جماعة احالة اهل زماننا
وجود المجتهد يفترع عن جبن ما والا فكثير ما يكون القائلون بذلك من المجتهدين وما المانع
من فضل الله واختصاص بعض الفيض والمواهب والعطاء ببعض اهل الصفوة

الباب الرابع

في فوائد منثورة تتعلق بالاجتهاد الاولى قال الشيخ مجد الدين ابن دقيق
العيد والد الشيخ تقي الدين في كتابه تنقيح الافهام عن المجتهد في هذه الاعصار
وليس ذلك لتعذر حصول آلة الاجتهاد بل لاعراض الناس في اشتغالهم عن الطريق
المفضية الى ذلك الثانية قال النووي في شرح المهذب باب ادب العالم ينبغي ان يعتني
بالتصنيف اذا تاهل له فبه يطلع على حقائق العلوم ودقائقه ويثبت معه لانه يضطره
الى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على مختلف كلام الائمة
من متفقه وواضحه من مشكله وصحيحه من ضعيفه وجزله من ركيكه وما لا اعتراض
عليه من غيره وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد وقال في شرح المهذب ايضا في باب
ادب المتعلم ما نصه اذا فعل ما ذكرناه وتكاملت اهليته واشتهرت فضيلته
اشتغل بالتصنيف وجد في الجمع والتاليف محققا كل ما يذكره متثبتا في نقله
واستنباطه مجرا بايضاح العبارات وبيان المشكلات مستوعبا معظم احكام

Copyright © King Saud University